سوانح

يوسف

تجربة العمر

كان يحب دائما ان يعمل لخدمة امته ووطنه وكان بالاضافة الى ذلك يحرص على تحقيق ذاته فهو وان لم يكن مغرورا انما كان يشعر ان امكانياته وكفاءاته وما يختلج في صدره من ايمان يجب ان لا يضيع هباء وسدى وبعد كل شيء من اولى منه بالتقدم والقيادة وعنده من الحماية والرعاية والدعامة بين اصحاب النفوذ الذين يديرون الحركة الوطنيه في البلاد اكثر من غيره بل واضعاف غيره من الشباب وكان هذا في رايه حينئذ راس مال كبير

وكانت الوطنية لصاحبنا في هذه المرحلة من حياته العامة ؛ عواطف جياشة فقط . عواطف غير منظمة تصفق للتيار مع التيار .. وكان الجهاد له في انسجامه مع القافلة التي تدير شؤون البلد العامة ، بدون ان يعي او يناقش الخطوط التي تسير عليها هذه القافلة .. وكان يرضي كل الرضى ان يصفق له الناس بعد كل موقف ثائر وطني ، يقفه مع الحزب الذي كان يواكبه .. ويتبناه ..

وتمر الاشهر ؛ فيحاول هؤلاء الذين لمسوا وفاءه وتجرده ؛ ان يدفعوه الى عمل ايجابي .. وانتخى صاحبنا كالعادة .. دون ان يحاول فهم الشروط المادية ؛ والتي تضمن له حياة كريمة ؛ في البلاد الغريبة عنه ؛ والتي كان ينوي ان يسافر لها

وسافر الى مصر .. حيث كان يجب ان يتلقى التعيين والعمل والمال لمباشرة اعماله الرسمية .. وفي القاهرة ، بلد النور والحياة ، لم يحاول صاحبنا ان يتعجل الامور .. كما لم يحاول هؤلاء الذين لم يهمهم النظام ، ان يتعجلوا تعيينه ، او حتى الالتفات لشؤونه فراجعهم بعد وقت ، فامهلوه وغاب هو في عباب القاهرة .. شابا يافعا ، خبرته ضئيلة في كل شيء

واقتربت منه ، على شرفة فندق «الكونتننتال» لتساله ، وبدون مقدمات «حضرتك شقيق انور وجدي» وحار صاحبنا بماذا يجيبها ، فبالقدر الذي دغدغت فيه الحسناء عواطفه ، بالقدر الذي شعر فيه بشيء من الاهانة وبعد كل شيء ، ان نظرته الى الممثلين في ذلك ... انتقاء المثلين ، كانت جداسيئة

... ام غبطة هذا القدر ؛

... بالاضافة الى انه سيشغل منصبا سياسيا بعد ايام ، وسيصبح وزيرا رغم انفه .. ومع كل ذلك ، فقد تبادل الحديث مع الفتاة ، وافهمها خطاها ، ودعاها للجلوس ، ليؤنس وحدته ، او وحدتها ، فهي مثله عربية ، جاءت من سوريا ، لتشاهد ابا الهول ؟ والنيل وتتعرف الى القطر الشقيق ..

وحدثها من نفسه كثيرا وبالغ في ذلك فاعجبه انها تصغي اليه اصغاء شديدا .. واعجبه منها هذا الاهتمام بالشؤون العربيه .. وبالقضيه الفلسطينية خاصة وبزعماء فلسطين في الخارج والداخل وما هو موقف العرب من التقسيم .. وكانت القضيه في مراحل انتقالها الى هيئة الامم .. اعجبه كل ذلك .. وراح يرى في الفتاة المتوقدة شريكة حياته المقبله ... وهفا قلبه الى ابنة التاجر السوري الكبير من اعيان مدينة حلب .. وراح يضع الخطط مع خياله الجامح .. وشجعته على ذلك . وزين له غروره بانه فتنها بعلمه وشعره وادبه .. ونسي او كاد ينسى المهمة التي جاء من اجلها .. وراح عقله الباطن يوحي اليه بان الذين استدعوه هم المسؤولون عن ذلك .. واعوزته النقود .. فلجا الى ثيابه .. قطعة .. قطعه اسلوب درج عليه في حياته الجامعيه ، واحسنه ، واتقنه كما لم يتقن اساليب الشعر والنثر ..

ولعل الشيء الوحيد الذي كان يعكر عليه صفو علاقته الغرامية العارمة الجامحة اهتمام صاحبته بالسياسة وفلسطين اهتماما كان يتعارض مع السهرات القمرية الممتعة على ضفاف النيل وكان يعزو ذلك الى محاولة ارضاء منها لنوازعه واتجاهه في الحياة ومن اين له تقدير غير هذا من اين

وكانت ليلة قضاها معها في الحديقة بالاس على انغام الموسيقى الحالمة وكانت هي المرة الاولى التي يشاهد فيها الملك السابق فاروق وقد جلس الى مائدة كبيرة يحفه الوان واشتات من الناس وكم كان يود لو سمح له ان يعانق العاهل العربي الشاب المخلص لامته ولفلسطين ولكن الليل والخمر وحسناءه حال دون ذلك وذهب الناس وبقي في ... في ارجاء المكان ... قامة كـ...

فتاة صاحبنا وينظر اليها نظرات لم يتمكن صاحبنا من تفسيرها ، فلاهي نظرات اعجاب ولا نظرات اشتهاء وكانت صاحبتنا ترتجف تحت هول هذه النظرات . . وابدت امتعاضها وحاولت استفزازه .. ولكنها لم تنجح .. فاهمل ذلك .. وطلب منها ان ينصرفا .. وفي الطريق ، كانت تلتصق به اكثر من المعتاد . . وفجاة ، قالت له لماذا لا تخبرني عن الرسالة التي احضرتها معك للزعيم «فلان ..» ولماذا لا تحدثني عن مهمتك بالتفاصيل .. الا تثق بي .. الا تحبني ؟ فاخبرها بالحقيقة ، وكان قد وثق منها .. اخبرها انه «فلوص» ولا قيمة له .. وليس معه ثمن اجره العودة الى فلسطين .. ولكنه في اول اسلم الجد .. فلم تصدق .. وقالت له انت تتواضع .. وتمثل . . وتخفي اسرارا عني . . وتركها عند الفجر .. وهو يجيب انها سكرى .. وذهب . لينام . . ولا تسال من استغراق صاحبي في النوم . . ان جميع مدافع الارض لا يمكن ان توقظه من نومه .. وفتح عينيه عند الظهر .. ولم يصدق نفسه .. كانت هي . . بعينيها منكبة فوق حقيبة ثيابه ، تعبث فيها ، وبالاوراق التي تحتويها ، بكل هدوء ، واطمئنان .. وتركها تفعل ذلك .. مدعيا النوم . . وقد ظن انها تقرا قصائده الغزلية .. وبعد قليل شاهدها ، تترك الحقيبة ، وتقترب منه ، لتوقظه وافاق من نومه .. ودمعها تقول له ، انها تسلمت برقية من والدها ، يطلب اليها السفر بعد ايام الى سوريا .. وغضب صاحبنا وشاركها المها .. واكد لها ، بانه سيكون في طرفها قريبا ؛ في حلب الشهباء ..

وفي المساء .. وبينما كان يجلس وحده في شرفة الفندق .. تقدم منه ضابط بوليس وقال له حضرتك فلان ... تفضل معنا الى القسم .. وسار صاحبنا لا يعرف لهذا الطلب معنى ، وفي غرفة المدير الكبير راح يجيب على اسئلة عجيبة هل تعرف فلانة فلم يحاول ان ينكر .. وروي للمدير كل شيء عن العلاقة .. واجابه المدير انه يصدقه بعد ان سال عنه وعرف كل شيء عن حياته .. وزال ... روى له المد... لذكائه ... حا...

.. وجاسوسه صهيونيه نراقبها منذ زمن وكنا نعتقد انك شريكها .. حتى عرفنا الحقيقه .. وهي انك «مغفل» ومخدوع .. وعليك ان تحذر .. واقتاده الى غرفة النظارة وهناك كانت واقفه وراء القضبان بانفه وشمم .. لم شعر بالخجل والحياء فلم يشعر بالرثاء واكتفي بان يبصق على الارض وغادر المكان ..

وغادر مصر .. مهيض الجناح .. ووقمت الحوادث .. ولا زال يتساءل ما هذا الذي كانت تريد معرفته منه .. ومن الذي ارسلها وراءه .. ولماذا اختارته بالذات .. لماذا سالته عند اول لقاء ان كان شقيقا لانور وجدي .. اسئله سيموت وهي حائرة في صدره ولكنها كانت تجربة العمر ..

« كمال ناصر »

امــير ...

من بين اعضاء الوفد المصري لمؤتمر السياحة العربي الاول الذي بدا في القدس اليوم سكرتير تحرير الزميله « القاهرة » واسمه «الامير البيجي »

حدثني هو وزملاؤه لدى وصولهم الى القدس عندما زرتهم في الفندق الوطني حيث حلوا ضيوفا على دائرة السياحة بان حادثا طريفا وقع له عندما كان في مطار القاهرة ليركب الطائرة مع زملائه في طريقهم الى القدس وذلك ان موظفي المطار مزودون بتعليمات بمنع اي فرد من افراد العائلة المالكة المصرية السابقة الموجودين في القطر المصري من مغادرة القطر ولدى كشف هؤلاء الموظفين على اسماء المسافرين واطلاعهم على اسم الزميل وهو يبدا بكلمة الامـ... ظنوه من امراء العائلة المالكة ... اليها فاعلموه بانه ممنوع مـ... وطلبوا اليه ان يعود مـن ...

وكانت مفاجاة مضحكه لهذا ... واخوانه وبعد جدل طويل بينه ... موظفي المطار استطاع اقناعهم بـ... هذا اسمه الشخصي انها غلطة والديـ... وهو ليس بامير ولا يمت الى العائلـ... المالكه السابقه باية صلة وانه من ... الشعب وليس من الامراء وانه ... ذلك كما ان يحمد الله اذا ... كان ذلك وقتم ...

سوانح

يوسف

شهر « الكرامات » !

لست ولله الحمد جبانا .. ولكنني كلما سمعت اسم ايار ، ذلك الشهر الملعون .. وجف قلبي خوفا وهلعا سيما اذا كنت اعد ايامه !!

ويعود العداء .. بل الخوف من ايار الى خمسة عشر عاما وثلاثة اشهر وثمانية ايام !

ففي الساعة الرابعة والنصف من ظهر اليوم الثالث من ايار عام ١٩٤٠ كنت مصفدا بالحديد بيدي .. ومقيد بحديد اخر برجلي ، وعلى يميني وشمالي جنديان بريطانيان .. وخلفي شاويش بريطاني في قفص الاتهام .. وامامي «ميجور» كرئيس للمحكمة يساعده ضابطان برتبة كابتن .. والمدعي العام ميجور وكلهم انكليز .

في تلك الساعه لفظ سعادة الرئيس الحكم باعدامي شنقا بنص « تعلق من عنقك ساعة حتى الموت .. ورحمة الله على روحك يا يحيى الهواش » !

وشاء الله ان لا اموت .. ففي اليوم التاسع والعشرين من ايار المذكور جاءني خبر .. ماتت الفرس .. حجزوا على البقرات والقمحات !!

وفي الخامس عشر من ايار ٩٤٨ كان الشؤم علي وعلى جميع اخواني عرب فلسطين !!

وفي السادس عشر من ايار ٩٤٩ طردت من سوريا الى الاردن .. لانام على الرصيف بلا غطاء !!

وفي ٥ ايار عام ٩٥٣ فصلتني جريدة يومية من العمل ... لاعود الى الكوخ واسجن نفسي فيه .. فلا مال ولا ما يعرفون !!

وقضيت شهر ايار عام ٩٥٤ صائما بلا عمل اتمشكح بالقدس بحالة لا تسر صديقا ولا تسيء عدوا !!

وكان ايار عام ٩٥٥ شهر تجربة .. جرف هذا الشهر من غرفتي الحامر والعويص !!

ربما يستر .. من ايار القادم . وهـ كل ايار يطل في كل عام .. وكفانا شر ايار !!

« يحيى هواش »

شجاعة !

هل تعرف الحب ؟ وهل مررت بمراحله الشائكة المعقدة .. وهل اكتويت بناره ، وجنونه .. فانتصرت وهزمت .. وغلبت (بالفتح) ، وغلبت (بالضم) .. وسهرت وارقت ان كنت لم تفعل كل هذا ، ولم تمر بهذه التجارب الحلوة ، المرة .. فتاكد - يا قارئي - انك ما زلت بعيدا من صفات الانسانية الكاملة .. وانك لم تتطور بعد ، ولا تستطيع حتى الادعاء بانك « قرد » لان القرود تحب ، وتعشق ، وتغامر ، وتصلب على صلبان الهوى ، والشباب .. وجنون الصبا والكهولة .. ولكن لا تياس .. واياك ان تياس .. واياك ان تياس ، فلا بد وان تمر بهذه المرحلة .. فهي طبيعية وطبيعية جدا .. منذ ان كانت الخليقه ومنذ فتح « ادم » عينيه ليعرف الخير والشر .. ويشاهد « حواء » الفاتنة الشهية ، الحلوة .. فيضمها اليه . وعيناها وقلباها تبارك ان (الحية) التي لعنها الله .. ولا تزال تعاني من لعنته لها ...

* * *

وقصة صاحبي - التي ارويها اليك اليوم ، هي احدى قصص حبه ؛ الكثيرة ، التي عبرت افق حياته فمرت بها ، صاخبة ، هادئة .. عنيفة .. ناعمة .. فتركت في قلبه ، اثارا وجراحا كانت مصدرا ، لوحي دائر ، والهام مؤقت ..

وقال صاحبي : (وانني اذ اروي لك ، حديث هذا الغرام الذي تكرر كثيرا ، وهذه المغامرة ، التي حدث لي مثلها الشيء الكثير ، احتفظ لنفسي وللايام بقصة حبي الكبير الذي لا ازال اطل على الدنيا من خلال لوعته والذي ترك في نفسي زوايا مظلمة .. ظلمة القبر) ...

قال : كنت طالبا في الجامعة في سنتي الثانية حيث كان يسمح لنا ان نسكن خارج اسوارها الحصينة وشان الطلاب في اختيار دور مسكنهم شان عجيب فهم يطوفون مائة منزل ويزورون مائة عائلة حتى يهتدي الواحد منهم الى ركن يستانس به ويانس اليه فيلقى بمتاعه الذي يتبخر مع الزمن قطعة قطعة ويتسرب الى ايدي الباعة المتجولين اصدقاء الجامعيين التقليديين

وشرد صاحبي قليلا واستطرد يقول : وكانت غرفتي تقع في عمارة ارضية ذات طابق واحد تحيط بها عمارات احاطه السوار بالمعصم ،. ومرت ايام قبل ان اشاهد وجها جميلا يطل من شرفات احدى هذه العمارات ليختفي بعد دقائق ولست ادري ما الذي جعلني اطيل التفكير بهذا الوجه الصبوح هل هي ضريبة الشباب التي ندفعها مجونا ، ولهوا .. ورغبة في التطلع الى كل وجه .. ام هو الفراغ الذي كنت اعانيه والذي كان يهتف بي ويناديني الى حب جديد او مغامرة جميلة جديدة .. وقضيت اليوم الثاني منبطحا على كرسي طويل ارقب بزوغ الشمس .. او مطلع القمر .. ولم يخب ظني وخرجت هي في العصر الى الشرفه تداعب كلبها الابيض الصغير وتحمله بين يديها الحلوتين الناعمتين .. وبالرغم من كراهيتي ، وعداوتي للكلاب التي دخلت المستشفى بسببها عدة مرات في طفولتي .. الا انني شعرت بحب مفاجىء لها .. «للكلاب طبعا» ورحت ابسبس لها وكانت انثى كما علمت بعدئذ .. رحت « ابسبس » لها كما يفعل الناس مع القطط لقلة خبرتي مع الكلاب فموت الكلبة .. وراحت تتفلت بين انامل صاحبتها التي راحت بدورها تضحك للمفارقة .. وكانت هذه الضحكة اذنا لي بالدخول في مفاوضات واستفسارات حول اهمية (الحيوانات) في المجتمع وامكانية السماح لي بان اكون عضوا في لجنة رعاية الكلبه بصفتي عضوا في جمعية الرفق بالحيوان في بلادي الاردن .. فابتسمت واعجبتها الدعابه وكثيرا ما تحمل الدعابة اول سهم للحب او الاستلطاف ..

وتمر الايام وتنجح وساطة الكلبة بيننا .. وتتوطد اوامر الصداقه العميقة .. التي تتحول مع الايام الى حب جارف دفعني الى قضاء نصف النهار تحت الشرفه .. مبصبصا .. مناجيا جوليت بنت السماء التي لم يكن يسمح لها بمغادرة الدار الا مع الحاشية الكريمة المؤلفه من الام والاخ والخادمة والكلبة الكريمة التي كانت تشعر معي اكثر من افراد الاسرة مجتمعين ...

وتمر الايام وانا احاول عبثا ان استدرجها خارج الاسوار الحصينة فكانت تتوجم ولا تستطيع ان تفعل شيئا من اجلي وكدت القي السلاح .. حتى ظهرت عصر احد الايام لتقول لي ان العائلة ذاهبة الى دمشق ولن يبقى في البيت سواها وسوى الخادمة المطلعه على ماساة الحرمان التي كنا نعيش فيها وهمست في اذني من اعلى الشرفة انني استطيع ان اصعد لزيارتها غدا بعد الظهر بعد سفر افراد العائله ..

وانتظرت اليوم التالي بفارغ الصبر وهيات نفسي للمغامره وحلت الساعة فتركت منزلي لاصعد الى حيث تنتظرني صاحبتي الجميلة ودخلت غرفة الجلوس وصافحتها وما كاد المقام يستقر بنا وكلانا تحاول ان يمزق حجب الحياء حتى دق جرس الباب مرة ومرتين وتجمدت في مكاني وفقدت شجاعتي وحاولت هي ان تقنعني بالهدوء ولكنني كنت اجبن من ذلك فرحت افتش عن مكان اختبىء فيه او اهرب اليه

فوثبت من مكاني .. ولم اجد نفسي الا على الشرفة .. الشرفة المعهودة وكانما لاحظت الكلبة ذعري وجبني وهذه الخطوات المرتبكة التي اسير بها فخذلتني وراحت تنبح وكان الجرس لا يزال يرن في اذني وفي اقل من دقيقة كنت احاول ان ادلي بنفسي من على الشرفة ولما هبط جميع جسدي وبقيت اصابعي متعلقة بالشرفة نظرت الى الارض فقدرت ان المسافة كبيرة وبينما انا في ترددي خرج بعض الجيران من منازلهم وراحوا ينظرون الى هذا المشهد العجيب ... وكانت كرامتي فوق ان تتحمل هذا كله .. فسميت باسم الله . وقفزت الى الارض ولم افق على نفسي الا وانا في مستشفى الجامعة على فراش وثير .. وقد كسرت احدى ساقي ..»

وصمت صاحبي كانما اوجعته الذكرى . واستطرد يقول بقي ان تعرف انني عرفت فيما بعد .. ان الذي دق الجرس (زبال) الحارة جاء ليجمع النفايات ..

«كمال ناصر»